

نهضة الحسين في رؤية السيد القائد : العقلانية والحماسة والعاطفة



نهضة الحسين في رؤية السيد القائد
العقلانية والحماسة والعاطفة

يرى الإمام الخامنئي أن نهضة الإمام الحسين ذات ثلاثة عناصر:

العقلانية: ويقصد بهذا العنصر أن هذه النهضة تقوم على أساس دعوة القرآن والسنة لتحمل الإنسان مسؤوليته مهما بلغت التضحيات. وكان الإمام يرى بعقلانية أن الظروف تستدعي أن ينهض بمسؤوليته باعتباره إنساناً... ومسلماً... وإماماً.

الحماسة: وهي اقتران الحركة الجهادية بالعزّة. مواقف الحسين مفعمة بالعزّة في أشدّ ما واجهه من ظروف، فلم يتراجع عن موقفه قيد أنملة رغم كل ما واجهه من قسوة الظالمين.

العاطفة: أي إن نهضة الحسين دخلت في الوجدان الشعبي وامتزجت حوادثها بعواطف الأمة فاقترنت بذرف الدموع وإقامة مجالس العزاء فكان ذلك من أسباب خلودها على مرّ الاجيال.

يقول السيد القائد:

العناصر الثلاثة

"إنَّ لِنَهْضَةِ الإِمَامِ الحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ثَلَاثَةَ عُنَاصِرٍ هِيَ: المُنْطِقُ والعَقْلُ، والحِمَاةُ المَشْفُوعَةُ بالعِزَّةِ، والعَوَاطِفُ".

عنصر المنطق والعقل

إنَّ عنصَرَ المُنْطِقِ والعَقْلِ فِي هَذِهِ النَهْضَةِ يَتَجَلَّى مِنْ خِلَالِ كَلِمَاتِ ذَلِكَ العَظِيمِ. فَكُلُّ فِئْرَةٍ مِنْ كَلِمَاتِهِ النِّيَّرةِ الَّتِي نَطَقَ بِهَا (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، قَبْلَ نَهْضَتِهِ عِنْدَمَا كَانَ فِي المَدِينَةِ وَالِي يَوْمِ شَهَادَتِهِ، تُعْرَبُ عَنِ المُنْطِقِ مَتِينٍ، خِلَاصَتُهُ: إِنَّهُ عِنْدَمَا تَتَوَفَّرُ الشُّرُوطُ المُنَاسِبَةُ يَتَوَجَّهَ عَلَى المَسْلَمِ تَحْمِلُ المَسْئُولِيَّةَ، سِوَا أَذَى ذَلِكَ إِلَى مَخَاطِرِ جَسِيمَةٍ أَمْ لَا.

وإنَّ أعْظَمَ المَخَاطِرِ تَمَثَّلَ فِي تَقْدِيمِ الإِنْسَانِ نَفْسَهُ وَأَعْزَاءَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ إِلَى أَرْضِ المَعْرَكَةِ وَفِي مَعْرِضِ السَّبْيِ قَرِيبَةً.

إنَّ مَوَاقِفَ عَاشُورَاءَ هَذِهِ أَصْبَحَتْ أَمْرًا طَبِيعِيًّا عِنْدَنَا لِكثْرَةِ تَكَرُّرِهَا، مَعَ أَنَّ كُلَّ مَوْقِفٍ مِنْ هَذِهِ المَوَاقِفِ يَهْزُ الأَعْمَاقَ.

بِنَاءً عَلَى ذَلِكَ، عِنْدَمَا تَتَوَفَّرُ الشُّرُوطُ المُنَاسِبَةُ مَعَ هَذِهِ المَخَاطِرِ، فَعَلَى الإِنْسَانِ أَنْ يُوَدِّي وَاجِبَهُ، وَأَنْ لَا يَمْنَعَهُ عَنِ إِكْمَالِ مَسِيرَتِهِ التَّعَلُّقُ بِالدُّنْيَا وَالمَجَامِلَاتِ وَطَلْبِ المَلَذَّاتِ وَالمُخَلُّودِ إِلَى الرَّاحَةِ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَتَحَرَّكَ لِأَدَاءِ الوَاجِبِ.

وَلَوْ تَفَاعَسَ عَنِ الحِرْكَةِ، لَنَتَجَّ عَنِ ذَلِكَ تَزَلُّزٌ فِي أَرْكَانِ إِيمَانِهِ وَإِسْلَامِهِ، "قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ (صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): مَنْ رَأَى سُلْطَانًا زَنًّا جَائِرًا مُسْتَحِلًّا لِحَرَمِ اللّٰهِ وَلَمْ يَغْيِرْ عَلَيْهِ بِفَعْلٍ وَلَا قَوْلٍ كَانَ حَقًّا عَلَى اللّٰهِ أَنْ يُدْخِلَهُ مُدْخِلَهُ".

هَذَا هُوَ المُنْطِقُ، فَلَوْ أَنَّ أَوَّلَ الدِّينِ تَعَرَّضَ إِلَى خَطَرٍ وَلَمْ يُغْيِرْ ذَلِكَ بِقَوْلٍ أَوْ فَعْلٍ، كَانَ حَقًّا عَلَى أَنْ يَبْتَلِيَ الإِنْسَانَ اللُّأْبَالِيَّ وَالمَغْيِرَ المَلْتَزِمَ بِمَا يُبْتَلَى بِهِ العَدُوُّ المَسْتَكْبِرُ وَالمُظَالِمُ.

لَقَدْ بَيَّنَّ الإِمَامُ الحُسَيْنُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) هَذِهِ المَسْئُولِيَّةَ مِنْ خِلَالِ كَلِمَاتِهِ المَخْتَلِفَةِ فِي مَكَّةِ المَكْرَمَةِ وَالمَدِينَةِ المُنُورَةِ وَفِي أَمَاكِنَ كَثِيرَةٍ خِلَالِ مَسِيرِهِ، وَبَيَّنَّ ذَلِكَ فِي وَصِيَّتِهِ إِلَى أَخِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ الحَنْفِيَّةِ . كَانَ الإِمَامُ الحُسَيْنُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَلَى عِلْمٍ بِعَاقِبَةِ هَذَا الأَمْرِ، وَيَنْبَغِي أَنْ لَا يُتَّصَرَفُ أَنَّ الإِمَامَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَاقِبَةُ أَمَالِهِ عَلَى نَيْلِ السُّلْطَةِ وَتَحْرُكٍ مِنْ أَجْلِهَا، وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ السُّلْطَةُ مِنَ الأَهْدَافِ المَقْدَسَةِ، كَلَا، فَلَيسَ هُنَاكَ مَا يَسْتَوْجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَعْتَقِدَ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ عَاقِبَةَ هَذَا الطَّرِيقِ مَتَوَقَّعَةٌ وَوَاضِحَةٌ طَبِيقَ الحِسَابَاتِ الدَّقِيقَةِ لِلإِمَامِ الحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَالرُّؤْيَا الإِمَامِيَّةِ، إِلاَّ أَنَّ أَهْمِيَّةَ المَسْأَلَةِ تَنَأَتْ مِنْ هَذَا الجَانِبِ،

وهو أن ما قدّمه الحسين على عظمته وسموّ مكانه من تضحية كبرى يعتبر درسًا عمليًا بالنسبة للمسلمين الى يوم القيامة، وليس درسًا نظريًا يُكتب على لوحة الكتابة ثم يُمحى، كلا، فقد خُطّ هذا النهج بأمر إلهي على صفحات جبين التاريخ، وأدى ثماره الى يومنا هذا. إن نهضة الإمام الخميني (قدس سره) في محرم عام 1962م استلهمت من ثمار التطبيق العملي لدرس عاشوراء، وكذلك في محرم 1978م استلهم إمامنا العزيز نهضته منها حيث قال: "لقد انتصر الدم على السيف"

وأدّت هذه الحادثة التاريخية الفريدة الى انتصار الثورة الإسلامية.

هذا ما تحقق في عصرنا، وأمام أعيننا، وإنّ راية الفتح والظفر التي حملها الإمام الحسين (عليه السلام) ماثلة للشعوب على مرّ التاريخ، ولا بد أن تكون كذلك في المستقبل، وهو ما سوف يكون إن شاء الله تعالى، هذا جانب المنطق العقلاني والاستدلالي لحركة الإمام الحسين (عليه السلام). بناءً على ذلك، لا ينحصر تفسير نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) بالجانب العاطفي، فهذا الجانب غير قادر على تفسير جوانب الواقعة لوحده.

الحماسة

العنصر الثاني: الحماسة؛ أي أنّ العملية الجهادية الملقاة على عاتقنا، يجب أن تقترب بالعزة الإسلامية؛ لأنّ؛ "لِلْإِسْلَامِ الْعِزَّةُ وَاللِّسْلُومُ" وعلى المسلمين أن يحافظوا على عزّتهم وعزّة الإسلام، ولا بد أن يتحلّى الإنسان المسلم بسمات الشموخ والعزة في أشدّ الأزمات. لو أننا نظرنا الى الصراعات السياسية والعسكرية المختلفة في تاريخنا المعاصر، سوف نجد حتى أولئك الذين كانوا يحملون السلاح ويخوضون الحروب، يُعرّضون أنفسهم أحيانًا الى مواقف الذلّة، إلا أنّ هذه المسألة ليس لها وجود في فلسفة عاشوراء، فعندما يطلب الإمام الحسين (عليه السلام) أن يمهلوه ليلة واحدة، يطلبها من موقع العزّة، وحينما يقول: "هل من ناصرٍ ينصرنا" فإنه يطلب النصر من موقع العزّة والاقترار، وعندما تلتقي به الشخصيات المختلفة في الطريق بين المدينة والكوفة، ويتكلم معهم ويطلب النصر من بعضهم، لم يكن ذلك من موقع الضعف وعدم القدرة. وهذا أحد العناصر البارزة في نهضة عاشوراء.

ينبغي أن يُطبّق عنصر الحماسة المشفوع بالعزّة في جميع الحركات الجهادية المدرجة في جدول أعمال سلكي طريق النهضة الحسينية، وأن تكون جميع الحركات الجهادية — سواء كانت سياسية، أو إعلامية، أو المواقف التي تستدعي التضحية بالنفس — منطلقة من موقف العزّة.

انظروا الى شخص الإمام الخميني (رض) في يوم عاشوراء عندما كان في المدرسة الفيضية، فقد كان رجل

دين، ولم يكن يمتلك شيئاً من القوة العسكرية، أو أي شيء من هذا القبيل، إلا أنَّهُ كان يتمتع بشخصية لها من العزّة بحيث يركع العدو صاغراً لقوة بيانه، هذه هي مكانة العزّة. هكذا كان الإمام الخميني (رض) في تلك الظروف، وحيداً فريداً، ليس له عدّة ولا عدد، إلا أنَّهُ كان عزيزاً، وهذه هي شخصية إمامنا العظيم. نشكر الله تعالى أن جعلنا في زمان تمكناً فيه أن نرى تجسيدا لما كنا نردد ونقرأه ونسمعه كثيراً عن واقعة كربلاء.

العاطفة

العنصر الثالث: العاطفة؛ أي أنَّهُ قد أصبح للعاطفة دور مميز في واقعة كربلاء وفي استمرارها، ممّا أدّى إلى تميّز النهضة الحسينية عن النهضات الأخرى، فواقعة كربلاء ليست قضية عقلية جافة ومقتصرة على الاستدلال المنطقي، بل قضية اتّحد فيها الحب والعاطفة والشفقة والبكاء. إنَّ الجانب العاطفي جانب مهم؛ ولهذا أُمرنا بالبكاء والتبكي واستعراض مشاهد المأساة.

لقد كانت زينب الكبرى (عليها السلام) تخطب في الكوفة والشام بقوة وشجاعة، إلا أنها في نفس الوقت تقيم مآتم العزاء، وقد كان الإمام السجاد (عليه السلام) بقوته وصلابته ينزل الصواعق على رؤوس بني أمية عندما يصعد المنبر، إلا أنه كان يعقد مجالس العزاء في الوقت نفسه.

إنَّ مجالس العزاء مستمرة الى يومنا هذا، ولا بد أن تستمر الى الأبد لأجل استقطاب العواطف، فمن خلال أجواء العاطفة والمحبة والشفقة يمكن أن تُفهم كثير من الحقائق، التي يصعب فهمها خارج نطاق هذه الأجواء.»

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية - الشؤون الدولية